الباب الثالث

منهجه في التوحيد

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

التمهيد : تعريف التوحيد وأقسامه .

الفصل الأول : منهجه في توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : منهجه في توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الثالث : منهجه في توحيد الإلوهية .

الفصل الرابع : نواقض التوحيد والإيمان .

obeikandl.com

التمهيـــد

تعريف التوحيد وأقســامه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التوحيد وأقسامه .

المطلب الثاني : مفهوم التوحيد .

obeikandl.com

المطلب الأول

تعريف التوحيد وأقسامه

الفرع الأول : تعريف التوحيد لغة واصطلاحًا :

أولًا : التوحيد في اللغة :

مصدر وحَّد ، يوحِّد ، توحيدًا ، ومعناه : "إما جَعَلَه واحدًا، أو اعتقده واحدًا ". فمادة (وَحَدَ) في معاجم اللغة تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله ، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه . (١)

فالتوحيد لغة له معنيان :

الأول : جعل المتعدد واحدًا ، فمن جمع بين أقطار متفرقة يقال له : وحَّدها .

الثاني : اعتقاد الشيء واحدًا، وهذا بمعنى النسبة إلى الوحدانية، ولا يتحقق إلا بنفي الحكم عما سوى الموحَّد ، وإثباته له .

ثانيًا : التوحيد اصطلاحًا :

تنوعت عبارات العلماء في تعريفهم للتوحيد والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة أن التوحيد هو: " إفراد الله بالعبادة مع الجزم بانفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .. " (٢) .

فالتوحيد في الاصطلاح يتضمن ثلاثة أمور : توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، وتوحيد الإلهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له ، والكلام في الصفات (٣).

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦/ ٩٠ ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص ٤١٤ ، والتعريفات للجرجاني دار الريان - القاهرة ص ٩٦

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصفهاني تحقيق محمد ربيع المدخلي ، دار الاية ، الرياض ، ط٢ عام ١٤١٩ هـ ١/ ٣٣١- ٣٣٢ ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨/ ٢٤٦ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٤ .

obeikandl.com

الفرع الثاني: أقسام التوحيد وأنواعه عند أهل السُّنَّة ومخالفيهم :

أولًا : أقسام التوحيد عند أهل السُّنَّة والجماعة :

لأهل السُّنَّة والجماعة طريقتان في بيان أقسام التوحيد وأنواعه :

الأولى : تقسيم التوحيد إلى قسمين هما :

١ - توحيد المعرفة والإثبات: ويسميه البعض التوحيد "العلمي" أو "الاعتقادي الخبري" ويقصد به ما يجب على المكلف اعتقاده في حق الله تعالى ذاتاً وأفعالاً وصفاتًا، وهو توحيد الله تعالى بأفعاله وصفاته .

٢- توحيد الطلب والقصد والإرادة : ويسميه البعض بالتوحيد " العملي " ويقصد به : توحيد الله بأفعال العباد [(١)].

الثانية : تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع هي :

١- توحيد الربوبية : وهي انفراد الله بالخلق والتصريف .

٢- توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات أسماء الله تعالى وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه .

٣- توحيد الألوهية : وهو إفراد الله بأفعال العباد [(٢)].

ويحسن هنا التنبيه على أمورهي :

الأول : أنه لا تعارض بين التقسيمين السابقين عند أهل السُّنَّة فمن جعل التوحيد قسمين فقد جمع الربوبية والأسماء والصفات في نوع واحد باعتبار مايجب لله في ذاته، وجعل الألوهية نوعًا آخر . ومن جعله ثلاثة أقسام فقد فصل في التقسيم .

الثاني : أن هذا التقسيم نابع من استقراء النصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة والتي تحدثت عن كل نوع من أنواع التوحيد .

---

(١) ينظر في ذلك : مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٦٧ ، ومدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٤٤٩- ٤٥٠ ، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة ، لمحمد بن خليفة التميمي ، دار الحريري – القاهرة ، ١ / ٤٦ .

(٢) ينظر في ذلك : شرح الطحاوية ص ٢٤ ، وفتح المنان للألوسي ص ٥٢١ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ، دار ابن الجوزي – الرياض – ط٤ ،عام ١٤٢٤ هـ ص ٢١ – ٣٥

يقول ابن القيم – رحمه الله -: ".. كل سورة في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، بل نقول قولًا كليًا: إن كل آية في القرآن الكريم فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن:

إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري – الربوبية والأسماء والصفات – .

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي – الألوهية –. (١).

فدليل التقسيم عند أهل السُّنَّة هو: الاستقراء، وهو دليل معتبر في شتى العلوم والمعارف.

الثالث: أن تقسيم التوحيد عند أهل السُّنَّة والجماعة إلى أقسام لا يعني استقلال كل قسم عن الآخر بل هو تقسيم اصطلاحي، فأقسام التوحيد متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء بأحدها عن الآخر، بل لا ينفع أحدها بدون الآخر (٢).

الرابع: أن السبب في تقسيم أهل السُّنَّة والجماعة للتوحيد هو انحسار المفاهيم الشرعية الصحيحة عند كثير من المسلمين للألفاظ والنصوص، وخاصة بعد حركة الترجمة لعلوم المنطق والفلسفة، واختلاط المسلمين بثقافات الشعوب المفتوحة، وكذلك ظهور المفاهيم الضالة في باب التوحيد عند كثير من الفرق المنتسبة للإسلام كالفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة، وقصرهم للتوحيد على بعض جوانبه دون بعض (٣).

مما حدا بأهل السُّنَّة إلى إبراز المفهوم الصحيح للتوحيد من خلال بيان ما يشتمل عليه من أنواع.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٣/ ٤٤٩- ٤٥٠.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٤٤، ومنهاج السُّنَّة لابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، الرياض، ط١، عام ١٤٠٦هـ ٣/ ٢٨٩، وشرح الطحاوية، ص ٣٢، ودعوة التوحيد لهراس ٦٩- ٧١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، عام ١٤٠٧هـ.

(٣) ينظر: الشرك بالله أنواعه وأحكامه، ماجد شبالة ص ٣٢٥ وما بعدها.

ثانيًا : أقسام التوحيد عند المخالفين لأهل السُّنَّة والجماعة :

١ - أقسام التوحيد عند المتكلمين :

يقتصر أغلب [١] علماء الكلام في تعريفاتهم للتوحيد على إثبات الذات والصفات ونفي التعدد دون التعرض لتوحيد الألوهية مع ما رافق ذلك من نفي أوتأويل للصفات أو بعضها ، " فالله واحد في ذاته لا شبيه له ، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له ، وواحد في أفعاله لا شريك له "[٢].

ويلاحظ : أن كلامهم يقتصر على توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، ولعل ذلك يرجع إلى دخولهم معترك الرد على الفلاسفة والملاحدة ، فكان جل كلامهم في إثبات وجود الله وربوبيته .

٢- الصوفية : ذهبت طوائف من المنتسبين إلى التصوف إلى تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي :

أ – توحيد العامة: وهو توحيد الجمهور من غير الصوفية ، الذي يعرفونه بالسمع وبالظواهر .

ب – توحيد الخاصة : وهو الذي يثبت بالمكاشفات .

ج – توحيد خاصة الخاصة : وهو التوحيد القائم بالقدم [٣]، وهو ما انتهى اليه القائلون بالحلول والاتحاد والفناء .

بل يرى بعضهم أن التوحيد أمر غامض لا يمكن التعبير عنه كما يقول الشبلي[٤]: "ما شم روائح التوحيد ، من تصور عنده التوحيد " [٥] .

(١) هناك من المتكلمين من يذكر الألوهية في مفهوم التوحيد ، كالباجوري في تحفة المريد ص ٥٩ ، وشرح العقائد النسفية ، ص ٣٩ ، وضوء المعاني في شرح بدء المعالي ، للملأ علي القاري ، دار السعادة ، تركيا ، ص ١٣ .

(٢) اشرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار، ص ١٢٨ ، ولملل والنحل للشهرستاني ،١/ ٤٢ .

(٣) ينظر في تقسيم الصوفية للتوحيد : منازل السائرين ، لأبي إسماعيل الهروي ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر –ط٢– ب.ت ، ص٤٧ ، وروضة التعريف بالحب الشريف ،للسان الدين الخطيب ، دار الفكر ، ب .ت ص ٤٩٧، بيروت ، وقوانين حكم الإشراق للشاذلي ، الكليات الأزهرية – القاهرة – ١٣٨٠هـ – ص ١٣ .

(٤) هو : أبوبكر دلف بن جحدر ،وقيل ابن جعفر ، خرساني الأصل ، بغدادي المولد والمنشأ ، من كبار الصوفية صحب الجنيد وتوفي ببغداد سُنَّة ٣٣٤هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧ .

(٥) الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم القشيري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ب.ت – ٢/ ٥٨٦ ، وروضة التعريف للخطيب ،ص٤٩٩ ، وقوانين حكم الإشراق للشاذلي ص ١٠ .

ولا شك أن تقسيم غلاة الصوفية للتوحيد مخالف لما دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة ، حيث جعلوا " توحيد العامة " وهو ما جاءت به الرسل أدنى مراتب التوحيد ، وكأن توحيد بعض القوم أكمل من توحيد الرسلوأدق ، كما أن قولهم يفضي إلى القول بالحلول والاتحاد وإسقاط الشرائع [1].

(١) ينظر في ذلك:شرح العقيدة الطحاوية ص٥٣-٥٦ ، والشرك بالله أنواعه وأحكامه ، ماجد شبالة ، ٣٢٤ وما بعدها .

obeikandl.com

المطلب الثاني

مفهوم التوحيد

الفرع الأول : مفهوم التوحيد عند سيد قطب :

ركز سيد قطب – رحمه الله- كثيرًا على بيان مفهوم التوحيد الذي جاء به الإسلام، سواءً في وقفاته في ظلال كثير من الآيات أو في كتابه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته والذي ألفه لبيان مفهوم التصور الإسلامي " العقيدة " كما جاءت في نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة .

ومن خلال ما كتبه في هذا الباب نجد أن مفهوم التوحيد عنده يعني : إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وإفراده بالربوبية والألوهية ، وإثبات تفرده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك [١].

وسأورد بعض المقتطفات من كلامه لتعذر إيراد جميع النصوص في هذا الباب :

١- يقول – رحمه الله – : " إن الإسلام لما كان بصدد تقرير العقيدة الصحيحة، قرر أن عقيدة الإسلام القائمة على توحيد الله – سبحانه – وإفراده بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان ، بالاعتقاد في ألوهيته وحده ، والتقدم إليه بالشعائر التعبدية وحده ، والاعتراف بالحاكمية له وحده ، والحكم بشريعته وحدها ، والتحاكم إلى هذه الشريعة دون سواها ، جعل هذا كله هو الدين، الذي لا يقبل الله من الناس غيره ، وأن كل ما عداه باطل ، وشرك أو كفر " [٢].

٢- ويقول: " والمنهج القرآني يركز ابتداءً على التوحيد.. فالله سبحانه ذات واحدة لا تتعدد ولا تتبعض ولا تندمج معها ذوات أخرى ، ولا تتلبس بها في صورة من صور الاندماج أو التلبس، هذه الذات الواحدة متصفة بصفات تنفرد بها كذلك فلا يشاركها فيها أحد ، ومن وحدانية الذات وتفردها بهذه الصفات تتضح وحدانية الفاعلية والتأثير في الكون وما فيه ومن فيه: وحدانية الخلق

(١) ينظر في حقيقة التوحيد عند سيد : كتاب مقومات التصور الإسلامي جملة ، وخاصة فصل حقيقة الألوهية .
(٢) مقومات التصور الإسلامي ، سيد قطب ص ١١٢- ١١٦ ، ١٤٨ وما بعدها .

والإنشاء، ووحدانية الملك والرزق والقوامة والتدبيرووحدانية الهيمنة والسلطان في الدنيا وفي الآخرة سواء" [١]. وما دام الله تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير والقوامة... الخ ، فيجب إذن أن يكون هو (الإله) المتفرد بالألوهية، الذي يتوجه إليه عباده وحده بالطاعة والاتباع لحكمه وشرعه [٢].

٣- ويقول أيضًا "إن توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد القوامة ، وتوحيد الحاكمية ، وتوحيد مصدر الشريعة ، وتوحيد منهج الحياة ، وتوحيد الجهة التي يدين لها الناس الدينونة الشاملة، إن هذا التوحيد هو الذي يستحق أن يرسل من أجله كل هؤلاء الرسل .. " [٣].

ويقرر - رحمه الله - أن الاختلاف على حقيقة التوحيد كفر ، بناءً على أن التوحيد هو دين الله الذي اختاره لعباده وهو الإسلام بمفهومه الشامل [٤].

ويتضح من خلال النصوص السابقة أن سيدًا - رحمه الله - يفهم التوحيد على أنه إفراد الله سبحانه في ذاته وصفاته وأفعاله وأفعال العباد أيضًا ، وهذا أمر واضح في غالب كتاباته .

ومع ذلك فله رأي في مفهوم الألوهية والربوبية يخالف ما درج عليه أهل السُّنَّة والجماعة ويمكن بيان ذلك في الفرع الثاني .

الفرع الثاني :مفهوم الألوهية والربوبية بين السلف وسيد قطب :

يثير البعض قضية "عدم وضوح الربوبية والألوهية عند سيد قطب وفي ذهنه "[٥]. ويدلل على ذلك ببعض النصوص التي يتحدث فيها سيد عن الألوهية والربوبية وموقف المشركين منهما ، ومن خلال جمع كلام سيد حول الربوبية والألوهية تبين لي : أن سيد قطب لم يكن يجهل الفرق بين الربوبية والألوهية كما قيل عنه ، ولم يكن عنده غبش في الرؤية لحقيقية الألوهية والربوبية ، بل كانت الرؤية عنده لحقيقة

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .
(٢) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٤٨ و ٢٨٢.
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٠٣ .
(٤) المصدر السابق ، ٣٨٠ .
(٥) عنوان لفصل في كتاب أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب " للدكتور / ربيع المدخلي ص ٦٩ .

التوحيد واضحة كما سبق ولكن الأمر يتعلق بقضية أخرى وهي: أنه- رحمه الله - كان له رأي في مفهوم الألوهية والربوبية ، مخالف لما تعارف عليه كثير من أهل السُّنَّة ، ولذلك التبس على من لم يجمع كلامه الأمر فظن أنه يجهل الفرق بينهما .

وحتى يتضح الأمر يمكن بيان مفهوم الألوهية والربوبية عند أهل السُنَّة والجماعة ، وعند سيد ، وحقيقة الخلاف وسببه فيما يأتي :

أولا : مفهوم الربوبية والألوهية عند السلف :

يرى جمهور السلف أن الربوبية تعني : " إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله ، أي الاعتراف بأنه سبحانه رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأن له وحده التدبير وتصريف الأمور كلها، وأن الألوهية تعني : " إفراد الله تعالى بالعبادة واستحقاقه سبحانه لذلك دون سواه" (١).

ويرون أيضًا أن العلاقة بين الربوبية والألوهية علاقة تضمن واستلزام ، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ،فهو منه كالمقدمة من النتيجة ،فإن العبد إذا علم أن الله سبحانه هو ربه الذي لا شريك له في ربوبيته ، كانت العبادة حقا لا ينبغي إلا لله ، فلا يصح أن يعبد إلا من كان ربًا خالقًا ، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، لكون الأخير داخل ضمن الأول ، فإنه لا يعبد الله إلا من يعتقد ربوبيته، وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين السابقين ، فهو يقوم على إفراد الله بالأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له ، ومنها كونه واحدًا في ربوبيته وألوهيته وفي الجملة فالأنواع الثلاثة متلازمة متكاملة يكمل بعضها بعضًا، ولا ينفع أحدها بدون الآخر(٢).

ويرون أن الإقرار بربوبية الله لا يكفي لإسلام صاحبه ما لم يخلص لله عبادته ، لأن الله سبحانه أخبر أن المشركين كانوا يقرون بربوبية الله ووجوده ، ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام لأنهم كانوا ينازعون في الألوهية ، فيشركون معه غيره .

(١) ينظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٩٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٢- ٤٣، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ص١٧ .

(٢) ينظر في ذلك:درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية،٩/ ٣٤٤ ومنهاج السُّنَّة له أيضا ،٣/ ٣١٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٦ و٣٧ و٤١

وبناءً على المفهوم السابق للألوهية والربوبية والعلاقة بينهما قرر علماء السلف :

- أن المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية [١].

- وأن المشركين كانوا يسلمون بالربوبية وينازعون في الألوهية ، حيث أخبر الله عنهم أنهم يقرون بأن الله هو الخالق والرازق وحده ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [٢]، ولكنهم لا يفردونه بالعبادة وحده ، بل يجعلون له شركاء وأندادًا [٣].

والخلاصة : أن توحيد المعرفة والإثبات الذي حقيقته الإيمان بذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله مستلزم لتوحيد الطلب والقصد الذي حقيقته إفراد الله بأنواع العبادات كلها ، وأن أنواع التوحيد متلازمة لا ينفع أحدها دون الآخر ، ولا ينفك أحدها عن الآخر ، وأن التقسيم اصطلاحي لبيان حقيقة التوحيد ومفهومه الشامل كما جاء في نصوص الشرع.

ثانيا : مفهوم الربوبية والألوهية عند سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

لسيد قطب - رحمه الله - في معنى الربوبية والألوهية رأي مخالف ما عليه السلف ويتلخص تعريفه لهما كما يلي :

أ- مفهوم الألوهية عند سيد قطب:

يرى سيد أن مصطلح الألوهية مصطلحٌ واسعٌ وشامل ، له خصائص ومظاهر ومجالات متعددة ، فالألوهية تمثل الحقيقة الكبرى في الحياة ويندرج تحتها الربوبية والحاكمية والقوامة والتشريع وغيرها.

ففي ظلال قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [٤] الآية، يوضح سيد أن للألوهية مظهرين : مظهر في تدبير الكون ، ومظهر في حياة

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩ .
(٢) سورة لقمان : الآية ٢٥ ، وسورة الزمر الآية ٣٨ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٩ ، ٣٦ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

البشر ، فيقول : " يلقن الله رسولهﷺ وكل مؤمن أن يتجه إلى الله ، مقررًا حقيقة الألوهية الواحدة ، وحقيقة القوامة الواحدة في حياة البشر وفي تدبير الكون ، فهذه وتلك كلتاهما مظهر للألوهية وللحاكمية التي لا شريك فيها ولا شبيه.. وفي جمعه بين تدبير الله وتصريفه لأمور الناس ولأمور الكون إشارة إلى الحقيقة الكبيرة حقيقة الألوهية الواحدة القوَّامة على الكون والناس " (١).

ومظهر الألوهية في الكون وفي حياة البشر يندرج تحته كل خصائص ومقومات العقيدة عند سيد قطب ومنها :

١- الربوبية بكل مظاهرها عند السلف: من الخلق والرزق والملك ، والقدرة والقهر، والسلطان المتمثل في ربوبية الله لكل شيء ، واستخلافه للعباد في ملكه ، وعلم الغيوب والأسرار، وتقليب الأبصار والليل والنهار، وحشر الخلائق، والحكمة والخبرة ، والإحسان والرحمة ، فكل هذه المظاهر هي من خصائص الألوهية عند سيد حيث يقرر - رحمه الله - أن الألوهية تعني - في جملة ما تعنيه - الاعتراف بأن الله - سبحانه هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر المتصرف القادر على كل شيء (٢).

٢- التشريع للبشر : يقول سيد : " وأظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية: تعبيد العبيد ، والتشريع لهم في حياتهم ، وإقامة الموازين لهم ، فمن ادعى لنفسه شيئًا من هذا كله فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية وأقام نفسه للناس إلهًا من دون الله " (٣).

٣- التحليل والتحريم : " فالتحليل والتحريم هو شأن الله وحده، لأنهما أخص خصائص الألوهية " (٤).

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤٨٣ ، ٤٨٤ بتصرف يسير .

(٢) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ٢/ ١٠١٧ ، ١١٣٣ ، ١١٦٣ ، ٣/ ١٢٣٧، ١٧٦٣ ، ٤/ ٢٨٠٣، ٦/ ٣٤٧٦. ومقومات التصور الإسلامي ص ٦٩ وما بعدها ، وص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) في ظلال القرآن ١/ ٤٠٦ و ينظر أيضا : ١/ ٤٠٧ ، ٤٨٢ ، ٤٩٢ ، ٢/ ٩٦٩ ، ٩٧٠، ومقومات التصور ص ١٣٢ .

(٤) في ظلال القرآن ، ١/ ٦١٠ .

٤- إفراد الله بالحاكمية والطاعة [١].

٥- التوجه إلى الله بالعبودية والدينونة له في كل أمر في حياة المسلم [٢].

ب- مفهوم الربوبية عند سيد قطب :

يرى سيد - رحمه الله - أن الربوبية مظهر من مظاهر الألوهية الشاملة ،وهي تعني عنده: الحاكمية والتشريع والقوامة والسلطان في حياة البشر، والدينونة لله وحده .

ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [٣]، يقول سيد : " إن تفرد الله سبحانه بالخلق ، يفرده سبحانه بالملك ، والمتفرد بالخلق والملك يتفرد كذلك بالرزق ، فهو خالق خلقه ومالكهم وهو كذلك يرزقهم من ملكه الذي ليس لأحد شرك فيه.. فإذا تقررت هذه الحقائق - الخلق والملك والرزق ، تقرر معها - ضرورة وحتما- أن تكون الربوبية له سبحانه ، فتكون له وحده خصائص الربوبية ، وهي القوامة والتوجيه والسلطان الذي يخضع له ويطاع ، والنظام الذي يتجمع عليه العباد ، وتكون له وحده العبادة بكل مدلولاتها ، ومنها الطاعة والخضوع والاستسلام .." [٤].

ويقول - رحمه الله - : " إن فرعون لم يدع الألوهية بمعنى أنه خالق هذا الكون ومدبره ، أو أن له سلطانًا في عالم الأسباب الكونية، إنما كان يدعي الألوهية على شعبه المستذل ! بمعنى أنه هو حاكم هذا الشعب بشريعته وقانونه ،وأنه بإرادته وأمره تمضي الشئون وتُقضى الأمور- وهذا ما يدعيه كل حاكم يحكم بشريعته وقانونه وتمضي الشئون وتقضى الأمور بإرادته - وهذه هي الربوبية بمعناها اللغوي والواقعي " [٥].

---

(١) ينظر المصدر السابق ،٢ / ٦٩٦ ، ٨٤١ ، ١٠٠٥ ، ١١٣٠ ، ٣/ ١٤٤٣ ، ١٤٩٧ .
(٢) المصدر السابق ٨٤٠ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٢/ ١١٦٣.
(٥) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٥٣ ، وينظر أيضًا ٤/ ١٨٥٣ ، ٢١١٤ .

ويقول : " والربوبية تتمثل في الدينونة له وحده ، فلا يتقدمون بالشعائر إلا له ولا يحكمون في أمرهم كله غيره ، وهذا معنى قوله:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[١]. فالعبادة هي العبودية ، وهي الدينونة، وهي الإتباع والطاعة ، مع إفراد الله سبحانه بهذه الخصائص[٢].

فالألوهية أعم من الربوبية ، والربوبية مظهر من مظاهرها ، فالألوهية لها مجالان :

الأول : الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتقدير والتدبير، وتسيير أمور الكون والتحكم بنواميسه وسننه .

والثاني : الحاكمية والقوامة والسلطان والتشريع في حياة الناس، وتوجيه حياتهم وإخضاعهم، ودينونتهم ،وتعبدهم لله، وهذه يطلق عليها سيد مصطلح الربوبية .

يقول سيد : " إن الأمر في دين الله كله هو : لمن الألوهية في هذه الأرض ؟ ولمن الربوبية على هؤلاء الناس ؟ وعلى الإجابة على هذا السؤال في صيغتيه هاتين ، يترتب كل شيء في أمر الناس أجمعين : لمن الألوهية ؟ ولمن الربوبية ؟ "[٣].

ج- العلاقة بين الألوهية والربوبية عند سيد قطب :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الصلة بين الألوهية وبين الربوبية عند سيد قطب هي صلة الأصل بالفرع والكل بالجزء ، " فالربوبية إحدى خصائص الألوهية الحقة "[٤]، والربوبية من مقتضيات الألوهية[٥] " فمن مستلزمات الإقرار بتفرد الله بالألوهية والقوامة ، الإقرار بالعبودية له وحده وتحكيمه في شأن العبيد كله ، واستسلام العبيد لإلههم ، وطاعتهم للقيوم عليهم ، وإتباعهم لكتابه ولرسوله ﷺ "[٦].

" إن الذي يستحق أن يكون ربًا يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار ، فمتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود ، فيجب تبعًا لذلك أن

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٦٣ ، وينظر أيضًا ٣/ ١٨٥٢ ، ١٩٤٤ ، ١٩٦٣ ، ٤/ ٢١١١.
(٣) المصدر السابق ، ١/ ٥٩٥ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٧٥٣ .
(٥) المصدر السابق،٣/ ١٨٢٣ .
(٦) المصدر السابق،١ / ٣٧٧ .

يتوحد الرب ، وسلطانه القاهر في حياة الناس ، وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ، وأنه القاهر ، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره ويتخذوا بذلك من دون الله ربًا ، إن الرب لا بد أن يكون إلهًا يملك أمر هذا الكون ويسيره ، ولا ينبغي أن يكون العاجز عن تسيير أمر هذا الكون كله ربًا للناس يقهرهم بحكمه، وهو لا يقهر هذا الكون كله بأمره " (١).

فالدين والإيمان والإسلام بمفهومه الشامل يقوم على الألوهية والربوبية بمفهومها الشامل أيضًا حيث يقول سيد : " لمن الألوهية ؟ ولمن الربوبية ؟ لله وحده – بلا شريك من خلقه – فهو الإيمان إذن، وهو الإسلام، وهو الدين ، لشركاء من خلقه معه ، أو لشركاء من خلقه دونه ، فهو الشرك إذن أو الكفر المبين... فالعبرة بالقاعدة التي تستند إليها أوضاع الناس ، أهي إخلاص الألوهية والربوبية لله – بكل خصائصها – أو إشراك أحد من خلقه معه ، أو استقلال خلقه بالألوهية والربوبية بعضهم على بعض" (٢).

ويقول أيضا : " إن الإسلام يعني توحيد الألوهية من ناحية الاعتقاد والتصور والتوجه بالعبادة والشعائر، وتوحيد الربوبية من ناحية الدينونة والإتباع والطاعة والخضوع : أي توحيد القوامة والحاكمية والتوجيه والتشريع " (٣).

ويقول أيضا : " إن دين الله منهج للحياة ، قاعدته أن يكون السلطان كله في حياة الناس كلها لله وهذا هو معنى عبادة الله وحده ومعنى ألا يكون للناس إله غيره ، والسلطان يتمثل في الاعتقاد بربوبيته لهذا الوجود وإنشائه وتدبيره بقدرة الله وقدره، كما يتمثل في الاعتقاد بربوبيته للإنسان وإنشائه وتدبير أمره بقدرة الله وقدره، وعلى نفس المستوى يتمثل في الاعتقاد بربوبية الله لهذا الإنسان في حياته العملية الواقعية وقيامها على شريعته وأمره ، تمثله في التقدم بشعائر العبادة له وحده، كلها حزمة واحدة غير قابلة للتجزئة ، وإلا فهو الشرك وهو عبادة غير الله معه ، أو من دونه " (٤).

---

(١) المصدر السابق، ٤/ ١٩٨٩ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٥٩٥ ، ٥٩٦ بتصرف يسير .
(٣) المصدر السابق ٣/ ١٩٤٤ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٣٠٨ .

د- موقف المشركين والجاهليين من الألوهية والربوبية :

بناءً على تعريف سيد للألوهية بأنها مصطلح يشمل تدبير أمر الكون والبشر ، وتعريفه للربوبية بأنها الحاكمية والقوامة والسلطان على البشر يرى :

أن المشركين المعاصرين لنزول القرآن الكريم كانوا يعترفون بالألوهية – كما عرفها هو – ويقرون بها ، فلم تكن هي موضع الإنكار منهم ، ولا موضع الجدل مع الرسول ﷺ ، ويقصد بالألوهية التي كانوا يسلمون بها : تدبير الله لأمور الكون ونواميسه ، وتفرد الله بالخلق والرزق في حياة الناس ، وهو ما يسمى عند أهل السُّنَّة بالربوبية.

أما الأمر الذي كانوا ينكرونه فهو " الربوبية " – كما عرفها سيد – بمعنى ربوبية الله للناس وكونه وحده هو الحاكم المشرع المطاع ، وأن يفردوه بالحاكمية والقوامة والسلطان ، حيث كانوا يرفضون هذا ، ويمنحون هذه الصلاحيات لرؤسائهم وكبرائهم وزعمائهم ، أو أعرافهم وتقاليدهم وموروثاتهم [1]. وسأورد مجموعة من النصوص المتعلقة بالموضوع لزيادة الإيضاح :

في ظلال قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] ، يقول سيد – رحمه الله – : " وقد قلنا : إن قضية الألوهية لم تكن محل إنكار جدي من المشركين ، فقد كانوا يعترفون بأن الله – سبحانه – هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر المتصرف القادر على كل شيء ، ولكن هذا الاعتراف لم تكن تتبعه مقتضياته ، فلقد كان من مقتضى هذا الاعتراف بألوهية الله على هذا المستوى أن تكون الربوبية له وحده في حياتهم ، والربوبية تتمثل في : الدينونة له وحده فلا يتقدمون بالشعائر التعبدية إلا له، ولا يحكمون في أمرهم كله غيره، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ فالعبادة هي العبودية ، وهي الدينونة ، وهي الإتباع والطاعة ، مع إفراد الله سبحانه بهذه الخصائص كلها ، لأنها من مقتضيات الاعتراف بالألوهية ، وفي الجاهليات كلها ينحسر مجال الألوهية ، ويظن الناس أن الاعتراف بالألوهية في ذاته هو الإيمان ، وأنه متى اعترف الناس

(١) في ظلال القرآن في الميزان ، د/ صلاح الخالدي ص ١٦٤ .
(٢) سورة يونس ، الآية ٣ .

بأن الله إلههم فقد بلغوا الغاية ، دون أن يرتبوا على الألوهية مقتضاها وهو الربوبية، أي الدينونة لله وحده ، ليكون هو ربهم الذي لا رب غيره ، وحاكمهم الذي لا سلطان لأحد إلا بسلطانه" (١).

و في ظلال قوله تعالى :﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢) يقول : " وهذه الآيات ترسم صورة لعقيدة العرب آنذاك، وتوحي بأنه كان لها أصل من التوحيد ، ثم وقع فيها الانحراف ... كانوا إذا سئلوا عن خالق السماوات والأرض ، ومسخر الشمس والقمر، ومنزل الماء من السماء ، ومحيي الأرض بعد موتها بهذا الماء يقرون أن صانع هذا كله هو الله ،ولكنهم مع هذا يعبدون أصنامهم ، أو يعبدون الجن ،أو يعبدون الملائكة ويجعلونهم شركاء لله في العبادة ، وإن لم يجعلوهم شركاء في الخلق فهو تناقض عجيب، تناقض يعجِّب الله منه في هذه الآيات﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ " (٣).

ويقول أيضا: " ولم يكن العرب في جاهليتهم ينكرون أن الله هو خالق هذا الكون، وخالق الناس ورازقهم كذلك من ملكه الذي ليس وراءه ملك تقتات منه العباد !.. لذلك لم يكن الإسلام يواجه في الجاهلية العربية إلا الانحراف في التوجه بالشعائر التعبدية لآلهة – مع الله – على سبيل الزلفى والقربى من الله ! . وإلا الانحراف في تلقي الشرائع والتقاليد التي تحكم حياة الناس " (٤).

ويقول أيضا : "إن التخلي عن تكاليف الأمة المسلمة في الأرض خيانة لله والرسول، فالقضية الأولى في هذا الدين هي قضية : " لا إله إلا الله محمد رسول الله" قضية إفراد الله – سبحانه – بالألوهية ، والأخذ في هذا بما بلغه محمدﷺ وحده، والبشرية في تاريخها كله لم تكن تجحد الله البتة ، ولكنها إنما كانت تشرك معه آلهة أخرى ، أحيانًا قليلة في الاعتقاد والعبادة وأحيانًا كثيرة في الحاكمية والسلطان – وهذا هو غالب الشرك ومعظمه – ومن ثم كانت القضية الأولى لهذه الدين ليست هي حمل الناس على الاعتقاد بألوهية الله ، ولكن حملهم على إفراده – سبحانه بالألوهية –

(١) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٧٦٣ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآيات ٦١- ٦٣ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٥٠ .
(٤) المصدر السابق ٢/ ١١٦٣ .

وشهادة أن لا إله إلا الله ، أي إفراده بالحاكمية في حياتهم الأرضية – كما أنهم مقرون بحاكميته في نظام الكون – تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]، كذلك كانت هي حملهم على أن الرسول هو وحده المبلغ عن الله ، ومن ثم الالتزام بكل ما يبلغهم إياه " [2].

ويقول أيضًا : " فتوحيد الدينونة لله وحده هو مفرق الطريق بين الفوضى والنظام في عالم العقيدة وبين تحرير البشرية من عقال الوهم والخرافة والسلطان الزائف، أو استعبادها للأرباب المتفرقة ونزواتهم ، وللوسطاء عند الله من خلقه ! وللملوك والرؤساء والحكام الذي يغتصبون أخص خصائص الألوهية – وهي الربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية – فيعبدون الناس لربوبيتهم الزائفة المغتصبة ..

وما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهلية والإسلام ، ولا كانت المعركة بين الحق والطاغوت على ألوهية الله – سبحانه – للكون، وتصريف أموره في عالم الأسباب والنواميس الكونية إنما كان الخلاف وكانت المعركة على من يكون هو رب الناس الذي يحكمهم بشرعه ، ويصرفهم بأمره ، ويدينهم بطاعته ؟ .

لقد كان الطواغيت المجرمون في الأرض يغتصبون هذا الحق ويزاولونه في حياةالناس ، .. وكانت الرسالات والرسل والدعوات الإسلامية تجاهد دائما لانتزاع هذا السلطان المغتصب من أيدي الطواغيت ورده إلى صاحبه الشرعي" [3].

ويقول أيضًا : " ويكرر إبراهيم – عليه السلام – في كل فقرة من فقرات دعائه الخاشع المنيب كلمة " ربنا " أو " رب ". فإن لهجان لسانه بذكر ربوبية الله له ولبنيه من بعده ذات مغزى، إنه لا يذكر الله – سبحانه – بصفة الألوهية ، إنما يذكره بصفة الربوبية، فالألوهية قلما كانت موضع جدال في معظم الجاهليات – وبخاصة في الجاهلية العربية – إنما الذي كان دائما موضع جدل هو قضية الربوبية، فقضية الدينونة في واقع الحياة الأرضية، وهي القضية العملية الواقعية المؤثرة في حياة الناس ، والتي هي مفرق الطريق بين الإسلام والجاهلية ، وبين التوحيد والشرك في عالم الواقع

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٩٧.
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٥٢ بتصرف يسير.

.. والقرآن وهو يعرض على مشركي العرب دعاء أبيهم إبراهيم والتركيز فيه على قضية الربوبية كان يلفتهم إلى ما هم فيه من مخالفة واضحة لمدلول هذا الدعاء "[١].

ويقول في المقومات : "لقد كانت معركة العقيدة الأصلية الطويلة على "السلطان" على " الحاكمية " على تعبيد البشرية وكانت في صميمها تدور حول الإجابة على هذا السؤال : لمن تكون الألوهية والربوبية والقوامة والحاكمية في نظام الأرض وفي حياة الناس ؟ لله وحده ، أم لشتى الآلهة والأرباب ؟ . لقد كان الجاهليون في كل زمان ومكان – بما في ذلك هذا الذي نحن فيه – على استعداد – في معظم الأوقات – للاعتراف بألوهية الله وربوبيته وقوامته وسلطانه في نظام الكون ، وفي عالم الآخرة ، وحتى الماركسيون اللينينيون الملحدون قد تركوا للناس – في شدة الحرب الثانية – أن يعتقدوا في الله كما يحبون وأن يذهبوا إليه في الكنائس ! .

ولكن المعركة الحقيقية مع الجاهليين قديما وحديثًا إنما كانت وتكون حول ألوهية الله – سبحانه– وربوبيته وقوامته وسلطانه هنا في أنظمة الأرض ، وفي حياة الناس كانت حول حق الحاكمية لمن هو ؟ حول تحديد السلطة العليا التي يرجع إليها الناس في حياتهم الدنيا ، وفي نظام مجتمعهم ، وفي شكل حكمهم ، ولمن تكون ؟ .

ونالت هذه القضية – من أجل أنها القضية الكبرى والقضية الحقيقية في معركة العقيدة – عناية ملحوظة في القرآن الكريم – سواءً وهو يقص قصة الصراع حولها في الرسالات السابقة ، أم وهو يقررها في حياة الأمة المسلمة بشتى وسائل التقرير، ويعرضها بشتى طرق العرض ، ويتتبع مساربها في دروب النفس البشرية ، وفي دروب الواقع البشري على السواء .

ومن ثم لم يكن التصور الإسلامي مجرد تصور اعتقادي ، أو شعائر تعبدية ثم ينتهي الأمر ويتم الدين ! إنما كان مسألة واقعية حركية ، كان هذا السؤال دائما معروضًا " لمن الملك في الأرض ؟ ولمن الحكم في حياة البشر ؟ ولمن السلطة التي تتعبد الناس ؟ وحول هذا السؤال والإجابة عليه كانت المعركة أولا في عالم الضمير،

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٢١١١ بتصرف يسير ، وينظر أيضًا كلامه في المواضع الآتية من الظلال ٢/ ٩٩٠ ، ١٠٠٥، ١٠٣١، ١١٦٣ ، ٣/ ١٥٠٢، ١٨٠٢ ،٤/ ١٨٤٦ ، ١٩١٠، ١٩٤٤، وخصائص التصور الإسلامي ص ٣٨ ، ومقومات التصور الإسلامي ، ص١٣٣.

وثانيًا في واقع الحياة .

فأما الذين قالوا : إن الملك لله وحده في الأرض كما أن له الملك وحده في نظام الكون وعالم الأسباب وأن الحكم لله وحده في حياة البشر، وأن السلطة التي تتعبد الناس لله وحده ، وأن كتاب الله وحده وشريعته وحدها هي القانون ، فقد كانوا هم "المسلمين" في كل زمان ذلك أن هذا مناط الإسلام لله ، والمدلول المباشر لشهادة أن لا إله إلا الله .

وأما الذي قالوا : إن ذلك كله – أو بعضه – للبشر لا لله ، وأن لله مملكة السماء ومملكة الآخرة وأن ليس لله ولا لدينه أن يهيمن على أنظمة الأرض، وفي حياة الناس وأوضاع المجتمع ، وأن لنا أن نتولى بأنفسنا أو بتشكيلاتنا البشرية هذا كله – أو بعضه – غير متقيدين بنص ما شرعه الله ، وغير محتكمين إلى كتابه – فقد كانوا هم " الكافرين" ، ذلك أن هذا يتضمن رفض ألوهية الله – سبحانه – وربوبيته وقوامته وسلطانه في الأرض ، حتى ولو اعترفوا بوجوده وإشرافه على نظام الكون وحياة الآخرة – فشهادة أن لا إله إلا الله : معناها : أنه سبحانه في السموات وفي الأرض إله ، والإله هو وحده الذي له الربوبية والقوامة والسلطان في نظام الأرض وفي حياة الناس ، كما أن له هذا كله في نظام الكون وفي الدار الآخرة " [1].

هـ - مستند سيد قطب في تفسيره للألوهية والربوبية :

يظهر من خلال كلام سيد عن الألوهية والربوبية، بأنه استند في تفسيره لهما إلى ما يلي:

١ـ اللغة:

اعتمد سيد قطب في تفسيره للألوهية والربوبية على معاني الرب والإله في اللغة، والتي نقلها أيضاً عن أبي الأعلى المودودي – رحمه الله –[2]، وبالعودة إلى كتب اللغة نجد :

أ- أن لفظ " الإله " في اللغة يدل على عدة معاني منها : أَلِه إلاَهَة ، وأُلوهة

(١) مقومات التصور الإسلامي، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٢) ينظر: المصطلحات الأربعة لأبي الأعلى المودودي، دار الفكر، الكويت،ط١، عام ١٤٠١هـ ص ١٥.

وألوهية : أي (عَبَدَ) . وأَلِهَ أَلَهًا : أي (تحير) ، وأَلِه إليهَ :أي (لجأ) ، وأَلِه عليه : أي (اشتد جزعه) ، وآلِهَ بالمكَان : أي(أقام) ، وتألَه : أي(تنسك وتعبد) ، وتأله : أي (أدعى الألوهية) ، والتأليه : (القول بوجود إله مدبر لكون) [١].

وأما كون مصطلح الألوهية يتضمن الخلق والرزق والتدبير فقد جاء في لسان العرب : "ولا يكون إلهًا حتى يكون معبودًا ، وحتى يكون لعابده خالقًا ورازقًا ومدبرًا ، وعليه مقتدرًا ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عُبد ظلماً ، بل هو مخلوق ومتعبد " [٢].

وقد اعتمد سيد قطب ومن قبله المودودي – رحمهما الله – على المعنى اللغوي في جعل تدبير الكون من مضامين الألوهية ، كما سبق .

ب – أن لفظ الرب في اللغة يطلق ويراد به عدة معانٍ منها : المالك ، والسيد المطاع، والمربي ، والقيم والمنعم ، والمصلح للشيء ، يقال: ربَيت القوم : أي سستهم، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما : لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم ، أي يكونون علي أمراء وسادة متقدمين [٣].

وهذه المعاني للرب في اللغة – أوردها سيد قطب ومن قبله المودودي حيث يقول سيد : " الرب : هو المالك المتصرف ، ويطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للإصلاح والتربية والتصرف للإصلاح والتربية يشمل العالمين – أي جميع الخلائق " [٤].

فسيد هنا يستند إلى اللغة في تفسير الربوبية بالحاكمية والسلطان والأمر والتشريع والإخضاع .

٢ـ استعمالات القرآن الكريم :

استند – سيد – أيضًا إلى بعض الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر الربوبية

(١) مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ، دار الفكر، بيروت، عام ١٤٠١هـ ص ٢٢-٢٣، والمعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية طبعة المكتبة الإسلامية، تركيا، د.ت،ص١/ ٢٤.
(٢) لسان العرب لابن منظور ١٣/ ٤١٨ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٩٩- ٤٠١ بتصرف .
(٤) في ظلال القرآن ١/ ٢٢

بمعنى الحاكمية والسلطان ومنها : قوله تعالى عن يوسف: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[(١)]،يقول سيد : " أي اذكر حالي ووضعي وحقيقتي عند سيدك وحاكمك الذي تدين بشرعه وتخضع لحكمه، فهو بهذا ربك، فالرب هو السيد والحاكم والقاهر والمشرع ، وفي هذا توكيد لمعنى الربوبية في المصطلح الإسلامي ، ومما يلاحظ أن ملوك الرعاة لم يكونوا يدعون الربوبية قولاً كالفراعنة ، ولم يكونوا ينتسبون إلى الإله أو الآلهة كالفراعنة ، ولم يكن لهم من مظاهر الربوبية إلا الحاكمية وهي نص في معنى الربوبية " [(٢)].

يرى سيد أن ربوبية فرعون التي ادعاها والتي عبر عنها مرة بقوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾[(٣)]، ومرة بقوله:﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾[(٤)] إنما كانت بمعنى حاكميته لهم وسلطانه فيهمحيث يقول:" أما قول فرعون لقومه :﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ فيفسره قوله الذي حكاه القرآن عنه : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) ﴾[(٥)]. وظاهرٌ أنه كان يوازن بين ما هو فيه من ملك ومن أسورة الذهب الذي يحلى بها الملوك ، وبين ما فيه موسى من تجرد من السلطان والزينة ، وما قصد بقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ إلا أنه الحاكم المسيطر الذي يسيرهم كما يشاء ، والذي يتبعونه بلا معارض ، والحاكمية على هذا النحو ألوهية كما يفيد المدلول اللغوي ، وهي في الواقع ألوهية ، فالإله هو الذي يشرع للناس وينفذ حكمه فيهم ، سواء قالها أو لم يقلها " [(٦)].

ويستدل سيد أيضاً بحديث عدي بن حاتم - رضي الله عنه -، عندما دخل على

(١) سورة يوسف ، الآية ٤٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٩٢ .
(٣) سورة النازعات ، الآية ٢٤ .
(٤) سورة القصص، الآية ٣٨ .
(٥) سورة الزخرف ، الآيات ٥١-٥٣ .
(٦) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٥٤ .

النبي ﷺ فوجده يقرأ قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [١] قال فقلت : يا رسول الله : إنهم لم يعبدوهم . فقال : " بلى : إنهم حرموا عليهم الحلال،وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم " [٢]،[٣] .

حقيقة الخلاف : مما سبق يتبين لنا ما يأتي :

أولًا : أن جمهور السلف يرون أن مصطلح الألوهية خاص بالعبادة والتوجه إلى الله وإفراده بذلك ، وأن مفهوم الربوبية خاص بتدبير وتسيير الكون وما فيه ، وتدبير أمور الخلق في مجالات الخلق والرزق والضر والنفع وغير ذلك .

أما سيد قطب فيرى أن الألوهية مصطلح عام يشمل تدبير وتسيير أمور الكون، وتدبير وتسيير أمور الناس في مجالات الخلق والرزق والإماتة والإحياء وغير ذلك، ويرى أن الربوبية من مضامين الألوهية وهي تعني في جملة ما تعنيه : إفراد الله وحده بالحاكمية والقوامة والتشريع والتوجيه والدينونة والسلطان.

ثانيًا: أن العلاقة بين الألوهية والربوبية عند الجميع علاقة ترابط وتلازم وتضمن، وأنهما بمجموعهما يمثلان التوحيد والإيمان المطلوب الذي لا يقبل الله من أحد سواه .

ثالثًا : أن جمهور السلف وكذا سيد – وإن اختلفا في تحديد مصطلح الألوهية والربوبية إلا أنهم متفقون على أن الذي كان يجحده المشركون وينكرونه هو الدينونة لله والتقرب إليه وحده بلا شريك وهو ما يسميه علماء السلف (ألوهية)، ويسميه سيد قطب (ربوبية)، أما مسألة الخلق والرزق وتدبير أمور الكون ووجود الله قبل هذا فلم يكن أحد من المشركين يخالف فيه .

وبالتالي فالجميع متفقون على حقيقة الأمر الذي كان يجحده وينكره المشركون وإن اختلفوا في تسميته هل هو ألوهية أم ربوبية .

رابعًا : أن مفهوم جمهور السلف للألوهية والربوبية أوضح وأضبط ، وإن كان

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٣١ .
(٢) سبق تخريجه ص
(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٣٥ .

سيد قد اعتمد في بيان مفهومها على اللغة وبعض النصوص الشرعية كما سبق .

خامسا : أن سيدًا - رحمه الله - كان أكثر تركيزًا على مفهوم الحاكمية والطاعة والتشريع، وربطها تارة بالربوبية وأخرى بالألوهية باعتبار الربوبية من مجالات الألوهية ، والسبب في ذلك أن كثيرًا من السلف لم يكن قد ظهر في عصرهم ما عايشه سيد - رحمه الله - من إقصاء لحاكمية الشريعة، واستبدالها كليًا أو جزئيًا بالقوانين البشرية فكان كلامه في هذا أكثر وأعمق .

وبناءً على سبق : نرى أنه وإن كان ما ذكره السلف أضبط في مفهوم الألوهية والربوبية إلا أنه لا يوجد خلاف حقيقي بينه وبين ما ذكره سيد من حيث حقيقة التوحيد التي تشتمل على الأمرين - الألوهية والربوبية - والعلاقة بينهما، وحقيقة ما كان ينكره المشركون منهما وإن اختلفا في تسميته، بالإضافة إلى أن سيدًا بنى رأيه على مدلول اللغة وبعض النصوص الشرعية ، وتأثر أيضًا بكتابات الإمام أبي الأعلى المودودي -رحمه الله - والذي كان على نفس الرأي .